التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية: دراسة حالة قرية منادس بمنطقة بني ورثيلان شمال غرب ولاية سطيف

كزار محمد أكلي[1]، سحنون الطيب [2]

1 قسم الهندسة المعمارية، *كلية التكنولوجيا، جامعة عبد الرحمان ميرة، بجاية*، الجزائر
2 كلية الهندسة المعمارية والعمران، *جامعة قسنطينة 3*، الجزائر

تاريخ الإستلام 2018/03/05– *تاريخ القبول* 2018/09/09

الملخص

عملية تشكل وتحول المجال القروي في منطقة القبائل كانت نتيجة عوامل عديدة. حيث حاول القرويين منذ الاستقلال بلوغ مستوى أفضل من الرفاهية في مساكنهم ومجالهم المعيشي وسعت الدولة الجزائرية كذلك من خلال برامجها التنموية لتذليل مختلف العقبات وفك العزلة من خلال ربط هذه القرى بمختلف الشبكات وبناء المرافق والتجهيزات العمومية. وأصبحت الأنماط العمرانية الجديدة المعتمدة تتقاسم المجال القروي إلى جانب النمط التقليدي المحلي المعروف بـ "أخام"، "الحارة"، "ثادرث". دراسة هذه الصيرورة من خلال التحليل التفصيلي لحالة قرية منادس بمنطقة بني ورثيلان من شأنها أن تساعد على فهم تحولات المجال العمراني القروي الجبلي.

الكلمات المفتاحية: المجال العمراني-النسيج العمراني التقليدي -التوسع العمراني – التنمية المحلية-قرية منادس.

Résumé

Les mutations spatiales connues par les villages de la région montagneuse kabyle sont le résultat de plusieurs facteurs. Elles se sont produites selon un processus accéléré depuis l'indépendance. Les acteurs de ce processus sont d'une part les villageois et, d'autre part, l'Etat algérien. Ce dernier, par le biais des programmes de développement a essayé de désenclaver et d'améliorer le nombre d'équipements de ce village. La configuration actuelle de l'espace villageois est différente de celle d'autrefois. Les nouvelles formes urbaines et architecturales juxtaposent le tissu traditionnel connu par « akham », « alhara », et « thadarth ». L'illustration de ce processus par un exemple du village Menades de la région de Beni-ourtilane, peut nous aider à approfondir sa compréhension.

Mots clés : l'espace urbain- le tissu urbain traditionnel- l'extension urbaine – le développement local- village Menades.

Abstract

The spatial changes and mutations that the mountainous Kabyle villages have gone through are the result of several factors. They were produced through a process, which was accelerated since independence in 1962. The first factor of this process is the villagers and second is the Algerian state policy. The latter was through means of development programs experienced in order to develop the infrastructure of transport communication and services in these settlements. The current shape of the "Menades" village; our case study has been transformed from the past. Through this study of an analytical example of Menades village of Beni-Ourtilane region, we try to illustrate such process and patterns which would help to enhance further understanding of these transformations and changes.

keywords: urban area - traditional settlements - urban extensions - local development- Menades village.

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1, الجزائر, ديسمبر 2018

المقدمة

استقطب موضوع تطور السكن و المجال العمراني في القرية الجبلية الجزائرية اهتمام العديد من الباحثين، ونتيجة تعدد أهداف أبحاثهم تعددت المناهج المستخدمة. ومن بينهم الجغرافيون مثل مارك كوت Marc Cote [1] و جاك فونتان Jacques fontaine [2] و شراد صلاح الدين [3] والمختصون في علم الاجتماع مثل فكار عثمان[4] و صياد عبد الملك [5] و في مجال العمارة و العمران نجد ليوكس .أ Loeckx, A. و نيورت .ن Noert, N. . [6]، ومساسي .ن [7] و مدور وليد [8] وغيرهم.

و يعد استشراف المستقبل من خلال فهم ماضي و حاضر هذه المستوطنات البشرية من أهم أهداف الزخم المعرفي الذي تم إنتاجه إلى حد الآن. و ظل مستقبل القرية القبائلية الجبلية محل التساؤل و لا يزال كذلك، وعلى العموم فان الأوضاع الحالية حسب دراسات ميدانية حديثة أنجزت حول التنمية المحلية تلح على ضرورة اتخاذ التدابير الملائمة لتدارك النقائص المسجلة بمراعاة الخصوصيات المحلية لكل إقليم [9]. ومن أهم المجالات التي يمكن من خلالها تحقيق التحسن المنشود نجد كل من السكن الريفي و التهيئة العمرانية بل و التنمية المحلية، و فهم حيثيات التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية من شأنه أن يساعد على استخلاص خصائص توجهاتها الحالية. كما يتيح فرصة النقد المنهجي و البنّاء لأساليب إنتاج و تسيير الإطار المبني فيها .

المفهوم المحوري في هذا المقال هو المجال وقد تم تحديده على طريقة مارك كوت الذى اعتبره الوعاء الذي يحوي تاريخ المجتمع، يتميز بكونه متجدد و كونه نتاج المجتمع الذي يسكنه و أنه الحقل الذي تتجسد فيه أهداف الجماعات المحلية و تخطيط الدولة بحيث تتحقق التنمية أحيانا و تنتكس أحيانا. و حسب مارك كوت ذلك لأن المجتمع يبنى نفسه ببناء مجاله و بذلك فهو يعيد صياغة ذاته [10].

أهمية دراسة التحولات المجالية في المجال القروي الجبلي لا تتوقف على رصـد تغيرات و تطورات مع ربطها بالمحتوى الاجتماعي بل تتعدى إلى كون المجال الريفي ككل في البلدان المتقدمة و النامية على حد السواء يعرف تحولات كثيرة و متسارعة و الأدوات المنهجية الأكاديمية المتوفرة لم تعد قادرة على استيعابها بشكل واضح كونها حسب كزافيه قيو Xsavier Guillo [11] نتاج أبحاث و نظريات متمركزة حول المدينة. النتائج المترتبة عن هذه التحولات أدت و تؤدي إلى "هدم و تحطيم " البنى المجالية القائمة رغم كل ما يمكن تعداده من إنجـازات و تطويرات و هذا يعنى أنه لم يتم تقيم التبعات و الآثار المترتبة عليها بالشكل الأمثل و لم يتم تحديد الأدوات اللازمة لمعالجتها.

تمثلت الأدوات المنهجية التي اعتمدنا عليها في دراسة حالة قرية "مناديس" الواقعة بمنطقة بني ورثيلان في الملاحظة والملاحظة بالمشاركة، وذلك من خلال الاتصال المباشر بالمجال المدروس و محتواه الاجتماعي ومن خلال ممارسة أدوار مختلفة في هذه القرية. كما اعتمدنا كذلك على تقنية المقابلة بالخصوص مع كبار القرية ولإنجاز الخرائط اعتمدنا على الصور الجوية و الصور الملتقطة بالأقمار الصناعية مع المعاينة الميدانية للمجال المدروس. وقد سمح المنهج التاريخي والمنهج الوصفي التحليلي بتشكيل صورة عن عملية تشكل و تحول المجال القروي خلال خمسة وخمسون (55) سنة أي من الاستقلال إلى يومنا هذا.

نتناول في هذا المقال التعريف بالبنية المجالية لقرية مناديس وخصائصها، إضافة إلى وصف وتفسير عملية تشكل و تحول المجال بقرية مناديس من خلال تقسيمها إلى مراحل.

2. البنية المجالية العامة لقرية مناديس و ما جاورها:

الإقليم الإداري لدائرة بني ورثيلان الواقعة بأقصى شمال غرب ولاية سطيف، مساحته 228,76 كم² يتكون من أربع بلديات هي: عين لقراج ، بني ورثيلان، بني شبانة، وبني موحلى. ويضم حوالي 109 مستوطنة بشرية متباينة، نجد منها المداشر (قرى صغيرة)، القرى، والمراكز الريفية .انظر الخريطتين 1 و2. قرية "مناديس" تجمع ثانوي ضمن سلسلة من القرى هي: "لعزيب" (ثاماقازث)، "بونتر"، "مناديس"، "تيزي العسكر"، و"إشنبوذغ" يربطها طريق بلدي معبد طوله 5.12كم يتفرع عن الطريق الوطني رقم 74 وهي تابعة لبلدية عين لقراج إحدى البلديات الأربع لدائرة بني ورثيلان. تبعد عن مركز الدائرة بحوالي 10.8 كم بينما تبعد عن مركز البلدية بحوالي 4.7 كم. تقع على الجانب الجنوبي الشرقي لجبل بوموسي

(1240 م) حيث تحتل موضع مستوي نسـبيا يتميز بوفرة المياه و خصوبة التربة. كانت النواة الأولى لهذه القرية عبارة عن مجموعة أكواخ استُعمِلت من طرف الفلاحين كمأوى و مخازن في مواسم الحصاد وجني الزيتون وغيرها من المحاصيل. يقطن هؤلاء الفلاحين قرى تقع على الجانب المقابل من جبل بوموسي (قرى "أخريب"، و"زاكو"، و"ثيغيلت" وغيرها). أما عن تسمية قرية "منادس" فالرواية السائدة أنها نشأت من العبارة المحلية (أمان زڤس) أي الماء يوجد فيها. انظر الصورتين 1 و 2.

بصورة إجمالية نميز في البنية المجالية لقرية منادس العناصر التالية: الإطار المبني، وشبكة الطرقات، والأراضي الزراعية، والأراضي غير المزروعة (البور، الأحراش و الأدغال)، و مصادر الماء. فيما يلي يأتي وصف، تكوين و وظيفة كل منها.

1.2 الإطار المبـــني:

يتشكل من مجموع حوالي 110 بناية، 101 منها ذات استغلال سكني أو مزدوج (سكني وخدماتي) و 9 منها ذات استغلال خدماتي بحت. و يتمايز إلى : نسيج عمراني قديم متراص ، نسيج حديث انشطاري أو خطي بالإضافة إلى النسيج الانتقالي ذو الصفات المشتركة مـن الأول و الثاني.

النسيج العمراني القديم يضم 16 حارة متجاورة (وهي مجموعة من المساكن التقليدية "إخامن" تشترك في فناء واحد و لها مدخل رئيسي وتقطنها عائلة موسعة) و مسجد بالإضافة إلى 04 مساكن منعزلة وهو ما يعادل 19.09 % من مجموع مباني القرية.

المواد المستعملة في إنشائه محلية تتمثل في الحجر، التراب، الخشب، القرميد المصنوع محليا، التبن وغيرها. يتخلل هذا النسيج زقاق رئيسي واحد يتراوح عرضه من 1.5م إلى 2.5م و يتفرع عنه دربين فرعيين. هذه الطرق الثلاث تربط النواة الأولى للقرية بما حولها من أراضـي زراعية و توسعات حديثة تتميز بعدم إمكانية مرور العربات الميكانيكية من خلالها.

النسيج العمراني الانتقالي يجاور النسيج الأول من جهة الطريق البلدي و يتميز بتداخل الصفات القديمة و الحديثة من حيث الشكل و مواد البناء المستعملة. فمن الجانب المورفولوجي نجد نموذج الحارة هو الغالب مع بعض التغييرات في أبعادها المختلفة بينما من الناحية الإنشائية لاحظنا استخدام جزئي لبعض المواد الحديثة كالخرسانة، والخرسانة المسلحة، والقرميد الحديث، والآجر. يضم هذا النسيج العمراني 07 مساكن ، مدرسة ومتجر وهو ما يعادل(6.36%) من مجموع مباني القرية. و الجديد هنا هو إمكانية الولوج إليه بواسطة العربات الميكانيكية المتوسطة و الصغيرة الحجم.

النسيج العمراني الحديث يضم 82 بناية وهو ما يعادل 74.54 % من مجموع مباني القرية، كلها جلها ذات طابقين و خاصة المساكن المبنية على جانبي الطريق البلدي. المواد الإنشائية المستعملة حديثة. المباني تتموضع أساسا على شكل خطي على طول الطريق البلدي الذي تتفرع عنه 7 مسالك ثانوية تربطه بمجموعات متفاوتة العدد من المنازل؛ إلى جانب المباني السكنية نجد المرافق العمومية التالية: المدرسة الابتدائية، والمسجد، والمستوصف، والفرع البلدي، ومتجرين، والمقـبرة.

2.2 شبكة الطرقات:

تتشكل شبكة الطرقات أساسا من الطريق البلدي والمسالك و الدروب الفرعية و هي:

الطريق البلدي: معبد بشكل غير مكتمل يتراوح عرضه ما بين 06 إلى 08 أمتار يربط قرية منادس وعدد من القرى الأخرى بالطريق الوطني رقم .74 انظر الخرائط من 2 إلى 6 و الصورتين1 و 2.

المسالك: وهي طرق ثانوية تستخدم من طرف الراجلين و السيارات على حد سواء، وغير معبدة وتتفرع احيانا إلى دروب.

الدروب: تصلح فقط لمرور الراجلين و الحيوانات تربط القرية بالأراضـي الزراعية المجاورة، منها ما هو طريق تقليدي قديم و منها حديثة النشأة.

2 .3 الأراضي الزراعية:

يمكن تصنيفها حسب الاستغلال إلى ستة أصناف وهي: البساتين منها بساتين الخضر وبساتين الأشجار المثمرة (التين و الزيتون)، وحقول القمح والشعير، والأراضي ذات الاستغلال الثنائي (أشجار مثمرة مع زراعة الحبوب أو أشجار مثمرة مع زراعة الخضر) بالإضافة إلى الأراضي البور.

خريطة 1. موقع منطقة بني ورثيلان ضمن الإطار الجغرافي الجهوي. [12]

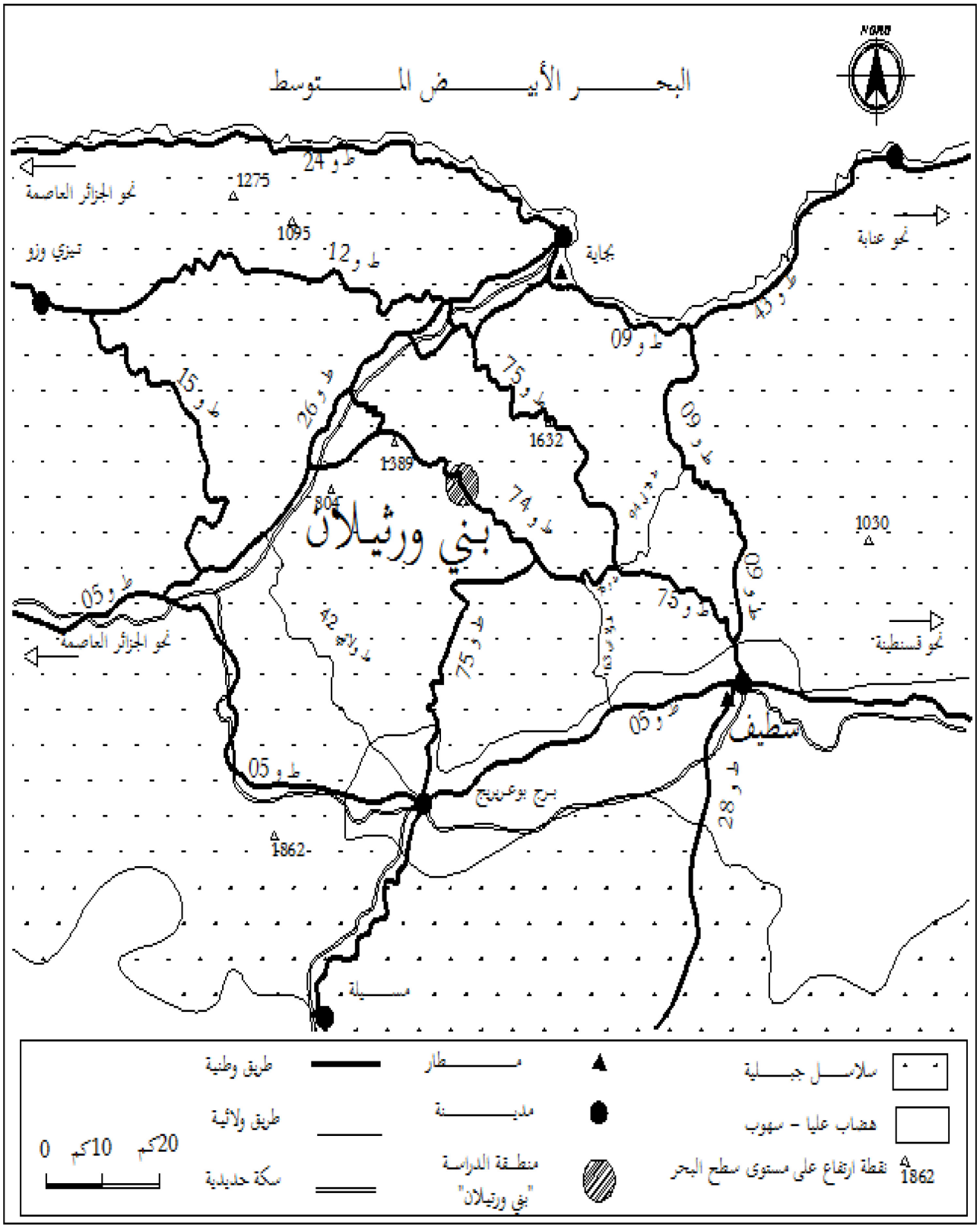

خريطة 2. أهم القرى والطرق المؤدية إليها بمنطقة بني ورثيلان [12]

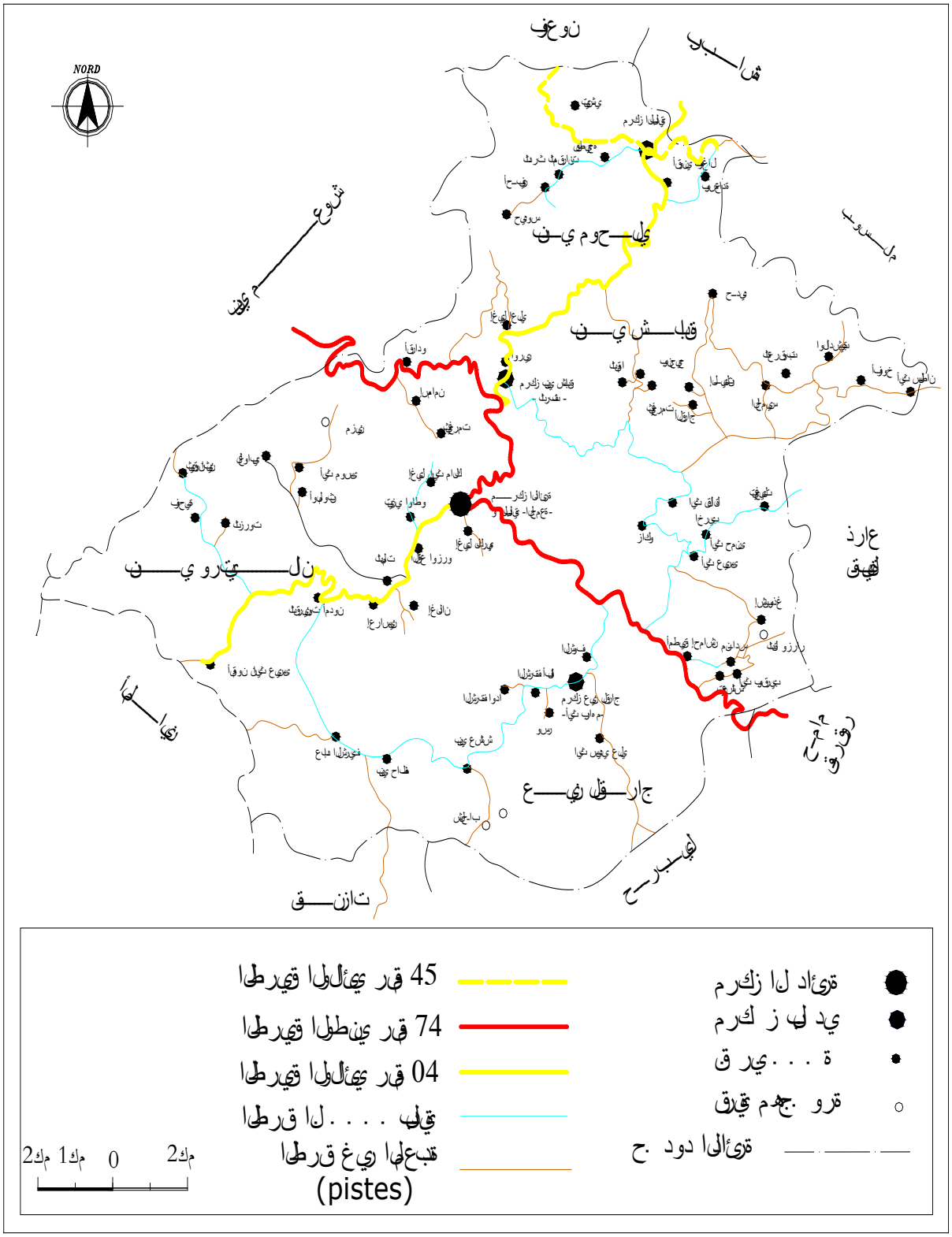

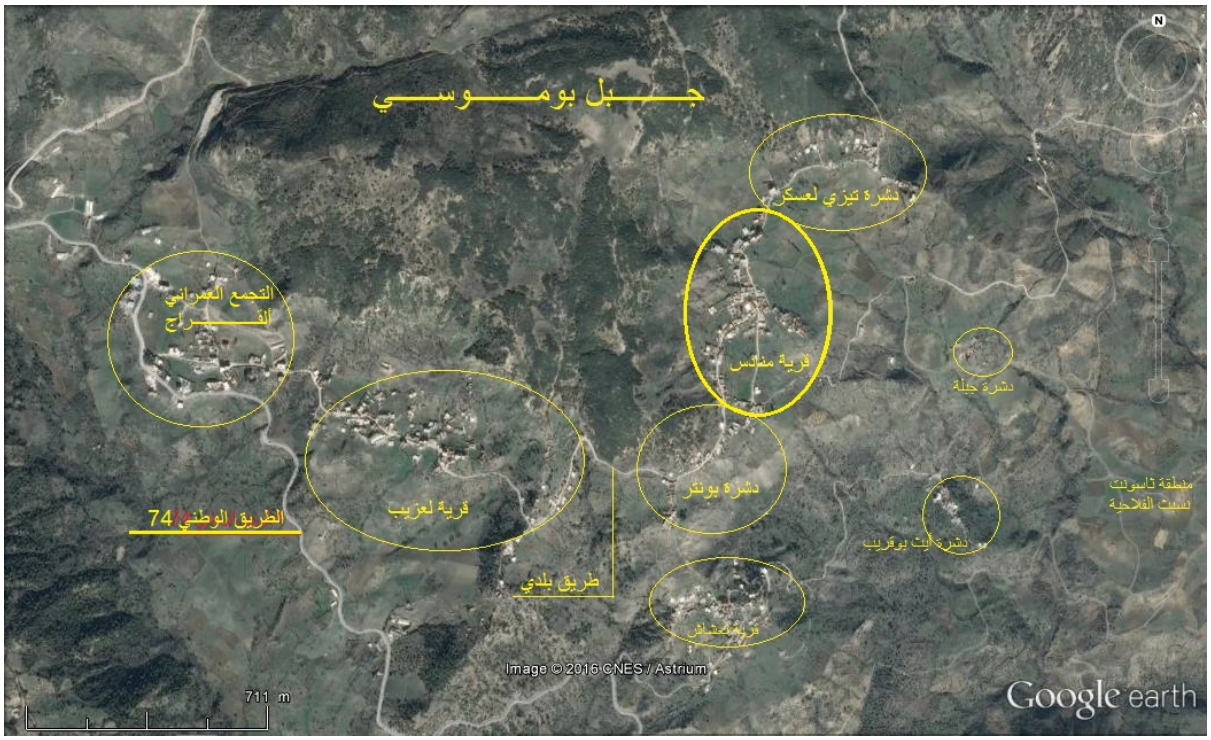

صورة 1. المنطقة الجنوبية والجنوبية الشرقية لجبل بوموسى، قوقل إرث 2016 .

صورة 2 . قرية منادس ، قوقل إرث 2016.

2 .4 الأحراش والأدغال:

يطلق عليها اسم الغابة عند السكان المحلين يمارس فيها نشاط كان إلى وقت قريب ذو أهمية محورية في الحياة الاقتصادية للقرويين يتمثل في الرعي. كما شكلت إلى وقت ليس ببعيد مصدرا للحطب المستعمل للتدفئة المنزليــة و المستعمل في مختلف النشاطات كالفلاحة و البناء، وقد أُستُصلِحت مساحات هامة من هذه الأراضي لكنها أُهمِلت لأنها ضئيلة المردودية.

2 .5 مصادر المياه:

تعد من المقومات الأساسية لاستقرار سكان القرية إذ أنها تضم حوالي من 57 بئر بالإضافة إلى عينين متوسط التدفق السنوي الواحدة منهما حوالي 1,5 ل/الثانية، إضافة إلى بئر ارتوازية أنجزت في جوان 2003 وشرع في استغلالها بعد استكمال إنجاز وتجهيز الخزان المخصص لتزويد القرية بالماء.

قرية منادس بتركيبتها المجالية الحالية البسيطة نسبيا تُجَسد حالة القسم الأكبر من قرى منطقة بني ورثيلان، بحيث بدأ نمط البناء الشبه حضري (الخطي و/أو الانشطاري) يحل محل النسيج القديم الذي يخضع الآن إلى عدّة تحولات وتغييرات من طرف السكان (توسيع، ترميم، هدم كلي، إعادة بناء) تهدف إلى تكييفه مع متطلبات الحاضر.

3. مراحل تشكل وتحول النسيج العمراني لقرية منادس:

تعرفنا بشكل عام على البنية المجالية لقرية منادس أين تبين لنا أن القرية تشكلت انطلاقاً من مجموعة مساكن كان القرويون يأوون إليها بشكل مؤقت في مواسم البذر، والجني والحصاد ويستخدمونها لتخزين محاصيلهم. هذا النمط من النشأة تشترك فيه عدة قرى على مستوى منطقة بني ورثيلان و منطقة القبائل بشكل عام وتسمى لعزيب "*Laâzib*" باللغة المحلية أو أعزيب" *AZIB*" حسب مارك كوت Côte M [1]

تعود كل أصول سكان قرية منادس إلى قرى عرش "غبولة" (أو إغبلولين) الذي يضم عدة قرى منها: "أخريب"، "ثيقرث"، "زاكو"، "أيث حمنة"، "ثيغيلت"....إلخ.) الواقعة في الجانب المقابل من جبل بوموسي؛ كما أن معظم الأراضي المحيطة بقرية منادس و كذا الأراضي الواقعة على الجانب الجنوبي الشرقي لجبل بوموسي تعود ملكيتها إما لسكان من القرى الأم أو سكان من القرى الجديدة نسبيا (منادس، لعزيب، جبلة، ايث بوقريب، بونتر...الخ). وعليه من المحتمل أن يكون التوطن البشري في هذه المنطقة بدأ من "غبولة" المرتفعة نسبياً لينتقل نحو مناطق أقل ارتفاعاً مثل منادس.

متى بدأ سكان القرية استقرارهم بشكل دائم ؟ سؤال حاولنا الإجابة عنه من خلال بحث ميداني شمل معاينة ميدانية لكل أركان القرية القديمة، واستجوبنا أيضا العديد من كبار القرية. و تبين لنا أن البداية تعود إلى أبعد من أوائل القرن الماضي (1900م) و لم نتمكن من تحديد تاريخها بشكل أدق.

أجزاء النسيج العمراني الحالي لقرية منادس و مكوناته المجالية الأخرى تشكلت على مراحل نتيجة نشاط القرويين الذين سعوا إلى تهيئتها بما يتماشى واحتياجاته المختلفة، و يتماشى مع خصوصياتهم الثقافية و الاجتماعية من جهة و من جهة أخرى نتيجة الجهود التنموية للدولة في مختلف القطاعات. سنحاول فيما يلي و من خلال الوثائق المتوفرة تقسيم عملية تشكل و تحول المجال العمراني لقرية منادس إلى مراحل متمايزة مع محاولة تفسير بعض مظاهرها.

إذا سلمنا بأن النواة الأولى للقرية تشكلت انطلاقاً من مجموعة مساكن لقرويين ذوي أصل غبولي فإن هذا يسمح باحتمال تموضعها على أحد الدروب التي شقها هؤلاء القرويون إلى الجهة الجنوبية الشرقية لجبل "بوموسي". الدرب نفسه الذي يربطها بعرش "غبولة" يستمر إلى الجهة الجنوبية الشرقية حيث منطقة "ثساونت نسبث" الفلاحية و هذه المنطقة مملوكة في معظمها لعرش غبولة. وهذا يسمح كذلك باحتمال كون القرية في بدايتها مكان يستريح فيه الفلاحين العائدين من أراضيهم صعوداً نحو غبولة. انظر الصورة رقم 1 و الخريطة رقم 02.

يتمثل موقع القرية في ربوة صغيرة يحيط بها أراضي خصبة شَكَّل الدرب الذي يمر من خلالها المحور الرئيسي الذي بُنيت على جوانبه أول المساكن، واختيار هذا الموقع لم يكن عشوائياً و ذلك للأسباب التالية:

- موقع القرية قريب من عدة مصادر مائية أهمهما منبعين يتميزان بتدفق معتبر ودائم ، تم تهيئتهما إلى عيون.
- بناء النواة الأولى للقرية على الموقع الأقل خصوبة مقارنة بما حوله من أراضي.

- توفر إمكانية مراقبة كل الأراضي المحيطة بموقع القرية.

اعتماداً على الصورة الجوية للقرية الملتقطة سنة 1995 م والصور الملتقطة بالقمر الصناعي و الروايات الشفوية لبعض كبار القرية بالإضافة إلى مسح ميداني شامل لكل المباني التي تضمها و الأراضي المحيطة بها توصلنا إلى تصور قسمنا من خلاله عملية تشكل و تحول إلى أربعة مراحل هي:

1.3 مرحلة ما قبل 1962:

في هذه المرحلة تشكلت القرية تدريجيا من مجموعة من المساكن التقليدية يقارب عددها 16 حارة تنتظم في نسيج عمراني تقليدي متراص و مسجد مضافا إليها أربع حارات معزولة (ربما يعود السبب في بنائهما معزولة إلى عدم امتلاك أصحابها أرضا ضمن النسيج العمراني للقرية) . النسيج العمراني القروي يشقه زقاق "أزنيق" رئيسي بحيث كل حارة لها باب ينفتح على هذا الأخير. إلى جانب كونه مكان عبادة يلعب المسجد في هذه القرية دور "ثاجمعث" بحيث إلى هذا اليوم لا يزال الرجال من السكان يجتمعون جالسين في مكان خاص في ساحة المسجد الذي لم يبق منه سوى الأطلال.

تقع المقبرة عند مخرج القرية من الجهة الشرقية بينما تبعد عين القرية بمسافة 90 متر عن آخر منزل من جهة المسجد. إلى غاية 1962م ظلت القرية مجرد مستوطنة بشرية بسيطة وسط الأراضي التي يستغلها القرويون لزراعة محاصيل مختلفة. الأراضي الواقعة أسفل وقرب عين القرية كانت ولا تزال تسقى جزئياً وفق نظام ري خاص يتم إعداده بالتراضي بين سكان القرية، أنظر الخريطة 3.

في هذه المرحلة تكونت شبكة الطرق من مجموعة من الدروب "Sentiers" القديمة إضافة إلى مسلك "Piste" يربط بين القرية والطريق الوطني رقم 74 الذي أنجز من طرف سلطات الاحتلال خلال السنوات الأولى من الثورة بهدف التمكن من التوغل باستعمال مختلف آلياته العسكرية إلى القرى الواقعة على الجانب الجنوبي الشرقي من جبل "بُومُوسي" وهي قرى "لَعزِيبْ"، و"بُونتَرْ"، و"جَبْلَة"، و "مْنَادسْ".

2.3 مرحلة ما بين 1962 إلى 1978:

عرفت قرية منادس خلال هذه المرحلة توسعاً بسيطا، بحيث أن معظم المنازل الجديدة بنيت منفصلة و بعيدة نسبياً عن النسيج العمراني التقليدي. عدد هذه المنازل هو 05 مسكنا بالإضافة إلى مدرسة ابتدائية ومتجر، كما استبدلت المقبرة القديمة بمقبرة جديدة. وتوسعت شبكة المسالك باتجاه المباني الجديدة. انظر الخريطة 4.

3.3 مرحلة ما بين 1978 و 1987:

عدد المباني التي أنجزت خلال هذه الفترة هو 43 ، ثلاث منها مرافق عمومية (المسجد الجديد، والمستوصف، ومقر الفرع البلدي) أما الباقي فهي مباني سكنية بنيت بمواد حديثة بشكل كامل تقريباً، و هي ذات طابع يغلب عليه سمات النمط الحديث بحيث نجد 24 منها ذات طابقين على الأقل. في هذه المرحلة الوجهة المفضلة لتوضع المساكن الجديدة هي الطريق البلدي الذي يربط القرية بالطريق الوطني رقم 74، معظم المساكن الجديدة ملك للمغتربين الذين يعملون في فرنسا أو يعملون في إحدى المدن الجزائرية. وقد تدعمت شبكة الدروب، والمسالك، والطرق ، بحيث وُسّع الدرب الذي يربط القرية بالمقبرة الجديدة باتجاه قرية "جبلة" ومنطقة "ثاسونت نسبث" الزراعية ليصبح مسلكا يمكن مرور العربات المختلفة عليه. انظر الخريطة 5. الطريق البلدي الذي يربط القرية بالطريق الوطني رقم 74 تمت تهيئته بمجموعة من الإجراءات كالتوسيع، وضع طبقة قاعدية من الحصى و تسوية المقاطع الأكثر انحداراً منه. عرفت القرية في هذه المرحلة قفزة نوعية في مجال التهيئة والتجهيز حيث تم ربطها بشبكة الكهرباء سنة 1984 وتزويدها بشبكة للصرف الصحي.

4.3 مرحلة ما بين 1987 و1998:

شهدت قرية "منادس" في هذه المرحلة توسعاً جديداً في نسيجها العمراني، وذلك ببناء أكثر من 20 مسكنا جديدًا وتوسيع العديد من المنازل التي بنيت في المراحل السابقة بالإضافة إلى توسيع المقبرة.

الملاحظ خلال هذه الفترة هو استمرار التوسع العمراني ولكن مع تناقصه من حيث الوتيرة والحجم بالمقارنة مع المرحلة السابقة ويعود ذلك إلى ما عانته الجزائر ككل ومنطقة القبائل بشكل خاص من أزمة متعددة الأوجه، وعدم تدعيم القرية بأي مرفق عمومي جديد ما عدا توسيع المدرسة الابتدائية بقسمين. ويبرز اهتمام القرويين بالعامل الأمني – كأحد خصائص هذه الفترة – بإنجاز العديد من أسوار الإحاطة (Murs de clôture) حول المساكن، انظر الخريطة 5 .

الخريطة 3. البنية المجالية لقرية منادس سنة 1978م.

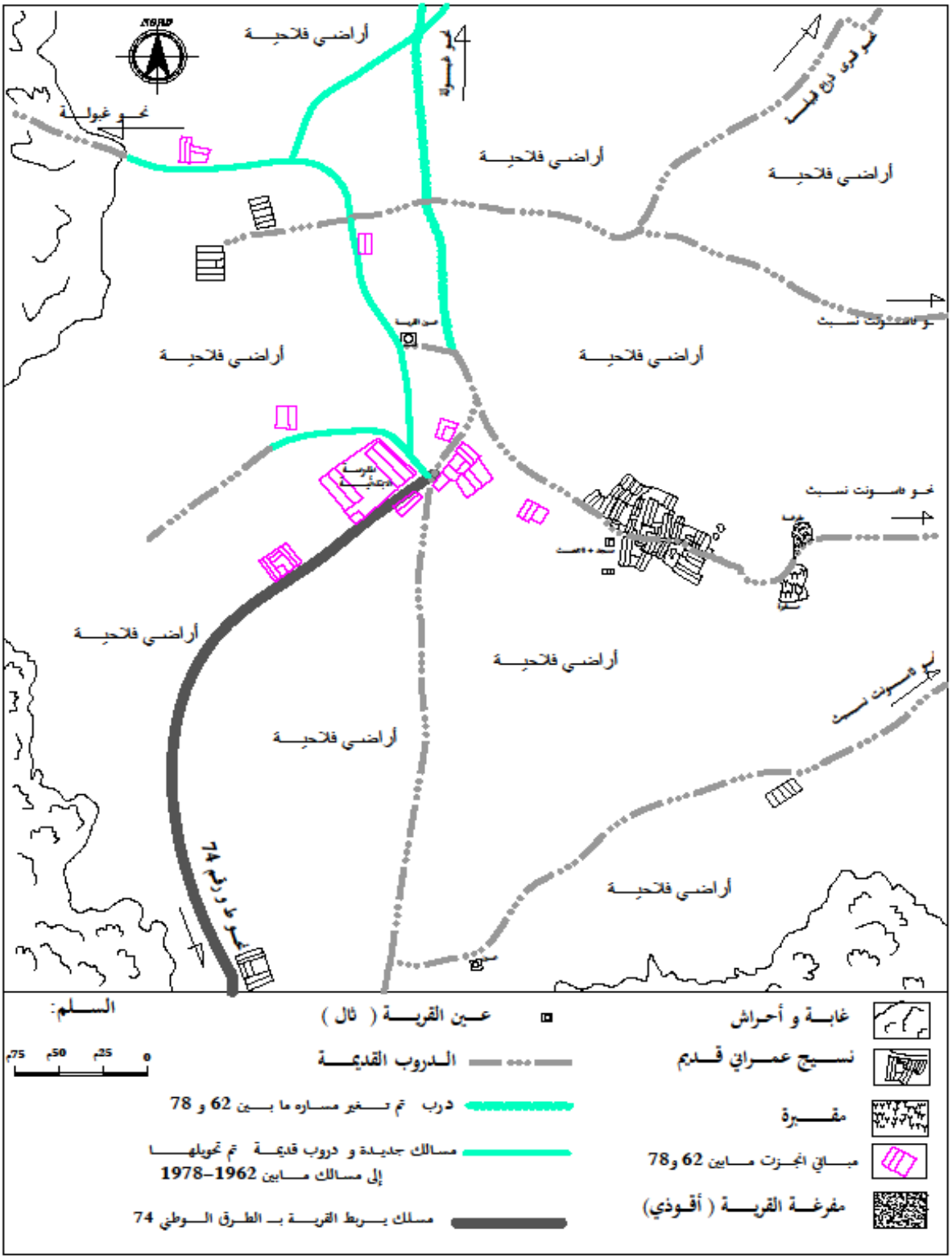

الخريطة 4. البنية المجالية لقرية منادس سنة 1987.

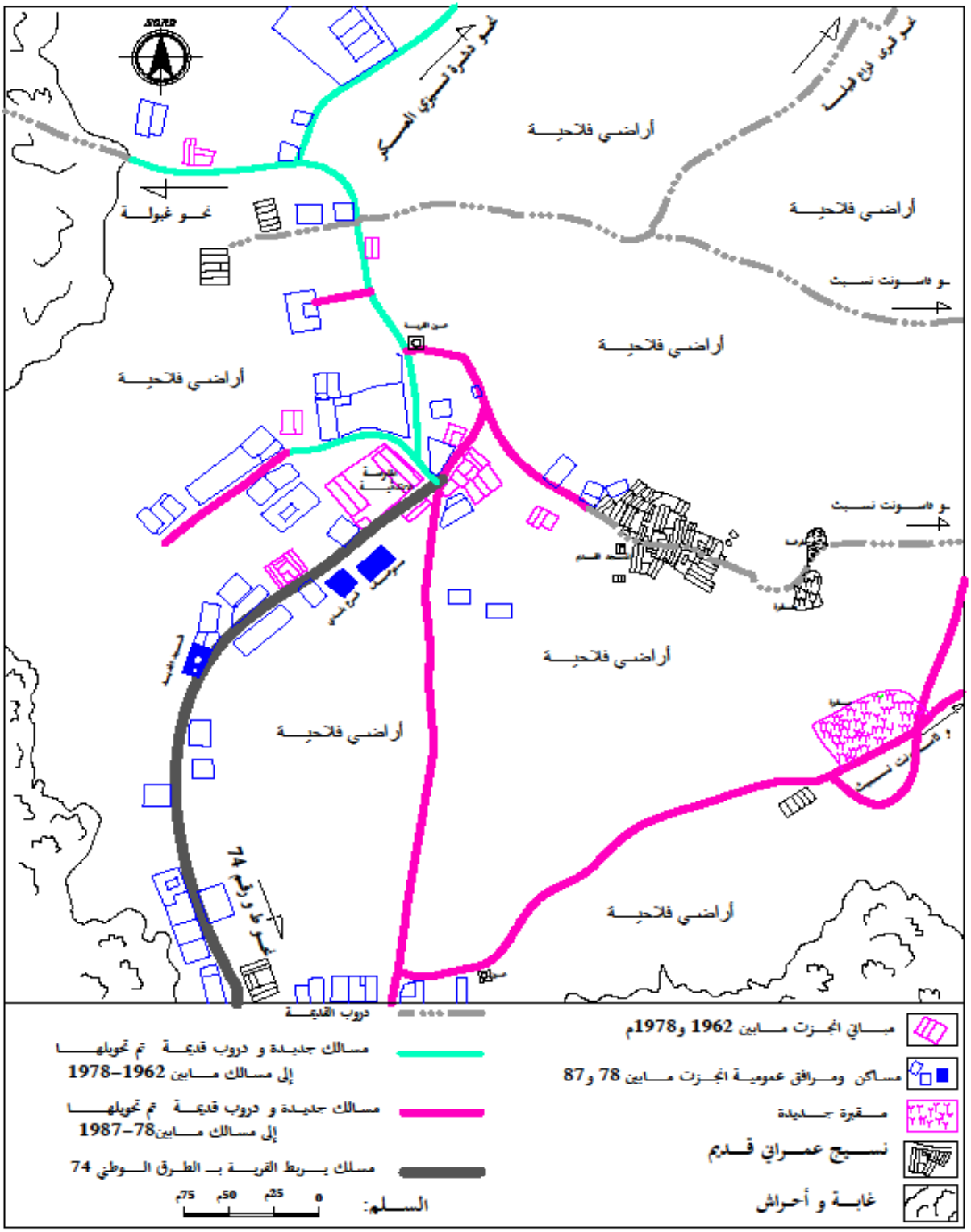

الخريطة 5. البنية المجالية لقرية منادس سنة 1998م.

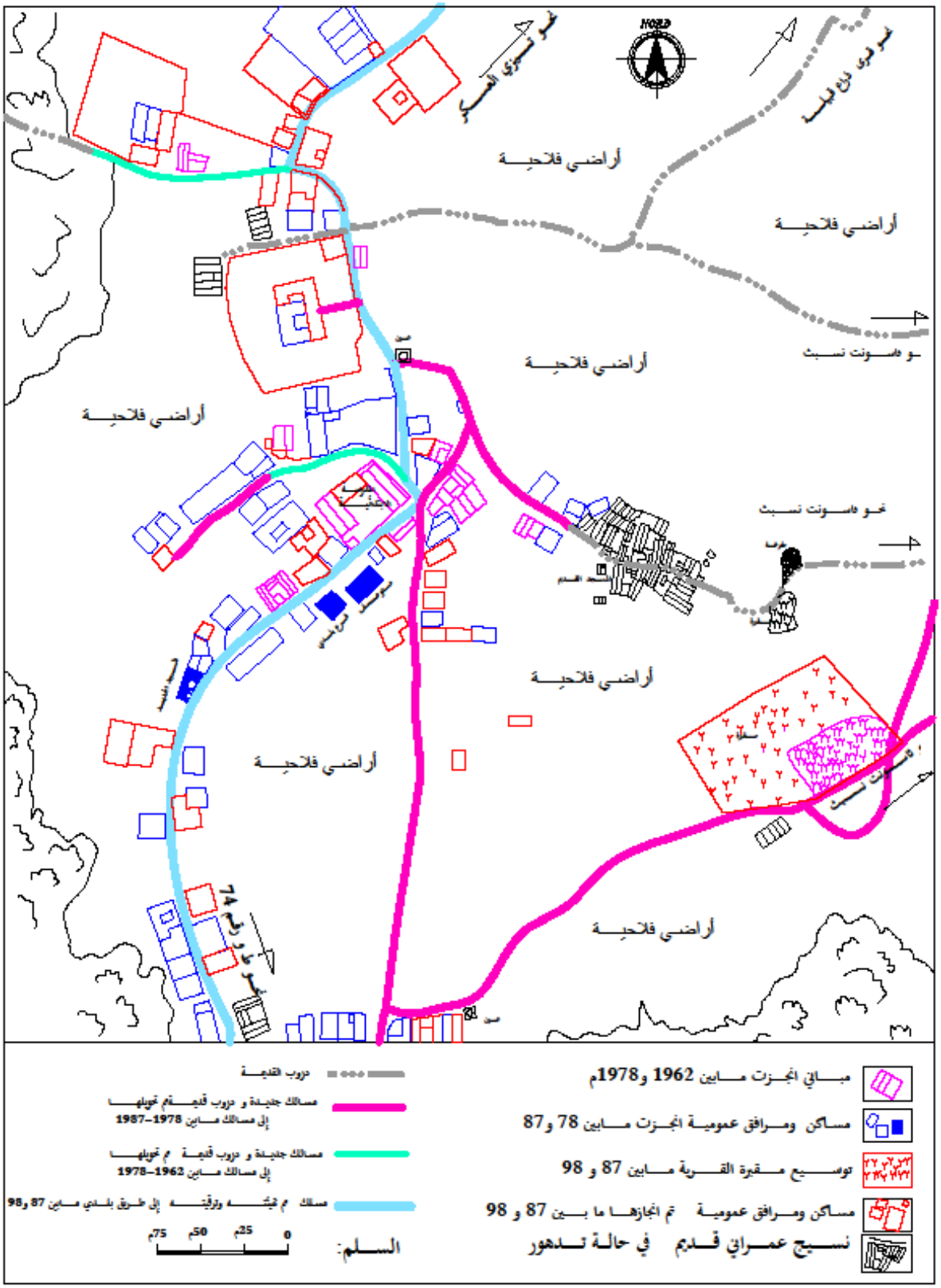

5.3 مرحلة ما بين 1998 و 2017 :

تناقص وتيرة التوسع العمراني للقرية امتد إلى هذه الفترة، بحيث عرفت القرية توسعا جديدا بـ 20 مساكن جديدة 14 منها أُنجزت في إطار دعم الدولة للسكن الـريفي. في هذه المرحلة فقد النسيج القديم معظم سكانه الذين انتقلوا إلى مساكن جديدة في القرية ذاتها أو مناطق أخرى عبر الوطن. وقد شكلت العاصمة و مدينة تامنراست الوجهتين المفضلتين في موجة الهجرة الجديدة التي مست مجمل الشرائح؛ فالمغتربون الذين كانوا يعملون في الخارج (فرنسا) أصبحوا يفضلون الاستثمار في المدن (العاصمة، سطيف، تمنراست، بشار...الخ) بينما أصبح المهاجرون الذين يعملون في المدن الجزائرية يسعون بكل طاقاتهم إلى بناء مساكن قرب أماكن عملهم في المدن بدل التنقل المستمر بين المدينة والقرية. بهدف الحد من ظاهرة النزوح الريفي هذه شرعت الدولة بمعية السلطات المحلية في مساعدة السكان لتحسين أوضاعهم وذلك بمجموعة من الإجراءات نذكر منها: دعم بناء السكنات الريفية، وتزويد القرية بشبكة للمياه الصالحة للشرب، وتعبيد الطريق البلدي بالإضافة إلى ربطها في ديسمبر 2015 بشبكة الغاز الطبيعي. انظر الخريطة 6.

هذا التصور لعملية تشكل وتحول المجال العمراني لقرية منادس وإن لم يستوف مجمل الحيثيات إلا أنه يبرز جوانب هامة من خصائصها خلال 54 سنة انطلاقاً من الحالة التقليدية الخالصة.

وتجدر الإشارة إلى أن عملية تشكل وتحول النسيج العمراني لقرية منادس لا تعطي صورة متكاملة عن العملية ذاتها على مستوى منطقة بني ورثيلان ككل، وذلك ما تأكدنا منه من خلال المعاينة الميدانية لعديد القرى أين لاحظنا أنماط أخرى لتحول المجال، منها مثلاً حالة مركز بلدية كل من "بني شبانة" و "عين لقراج" اللذان عرفا توسعا أكبر وأسرع انطلاقا من عدة قرى تقليدية وكذلك الحال بالنسبة للتجمع المركزي "الجَمْعَة" ببني ورثيلان. ومن جهة أخرى لاحظنا العديد من القرى نتيجة ظروف خاصة فقدت كل سكانها و لم يبق منها سوى الأطلال مثل: "امْزَين"، "ثِغَرْمِينِ" و "شَلْحَاب".

4. الخلاصة

بعد الاستقلال و زوال السيطرة الاستعمارية على المنطقة شرع القرويون في إعادة صياغة نمط تملك واستعمال المجال بما يتماشى مع احتياجاتهم ، تطلعاتهم و إمكانياتهم. وانطلاقاً من البنية المجالية التي خلفتها سنوات الاحتلال شرعت الدولة الجزائرية في تطبيق تجاربها التنموية المتعاقبة التي كانت تهدف إلى تطوير المنطقة وفك العزلة عنها. ومن خلال ما سبق يمكن القول أن خلال نصف قرن من الزمن نتج عن عملية تحول و تشكل المجال القروي لقرية "منادس" ما يلي:

- زوال الحدود المجالية التقليدية للقرية، فبعد أن كانت تشغل ربوة صغيرة أصبحت بعد 54 عام متربعة على نسبة كبيرة من الأراضي الزراعية المحيطة بها، والتي كانت من العوامل الأساسية لنشأتها الأولى.
- تحوّل نمطية المسكن من الحارة إلى المسكن الحديث ذي الطوابق و المنفتح على الخارج.
- تدخل الدولة بمعية السلطات المحلية بإنجاز البنى التحتية والمرافق العمومية الأمر الذي ساهم في تسهيل التوسع العمراني للقرية.
- تدخل الدولة استلزم إدراج قواعد وأساليب تحكم و تنظيم للمجال جديدة مختلفة عن المبادئ و القواعد التي نشأت وفقها القرية التقليدية. البلدية مثلا أصبحت عنصرا فاعلا على المستوى المحلي موازيا لمجلس القرية "ثاجمعث"و شيئا فشيئا أخذت مكانه في الكثير من مهام الإنجاز و السهر على تسيير المرافق العمومية و هذا اصطحب معه العمل بقوانين جديدة تختلف إلى حد ما عن القوانين العرفية المحلية.
- النمو العمراني السريع للقرية كان يحمل بذور تراجعه حيث أدى انحصار الأراضي الزراعية التي كان السكان يستغلونها إلى تناقص النشاط الزراعي، و لعل ذلك من بين العوامل المسببة في موجة الهجرة الجديدة التي عرفتها القرية خلال الفترة 1998-2017.

الخريطة 6. البنية المجالية لقرية منادس سنة 2016 م.

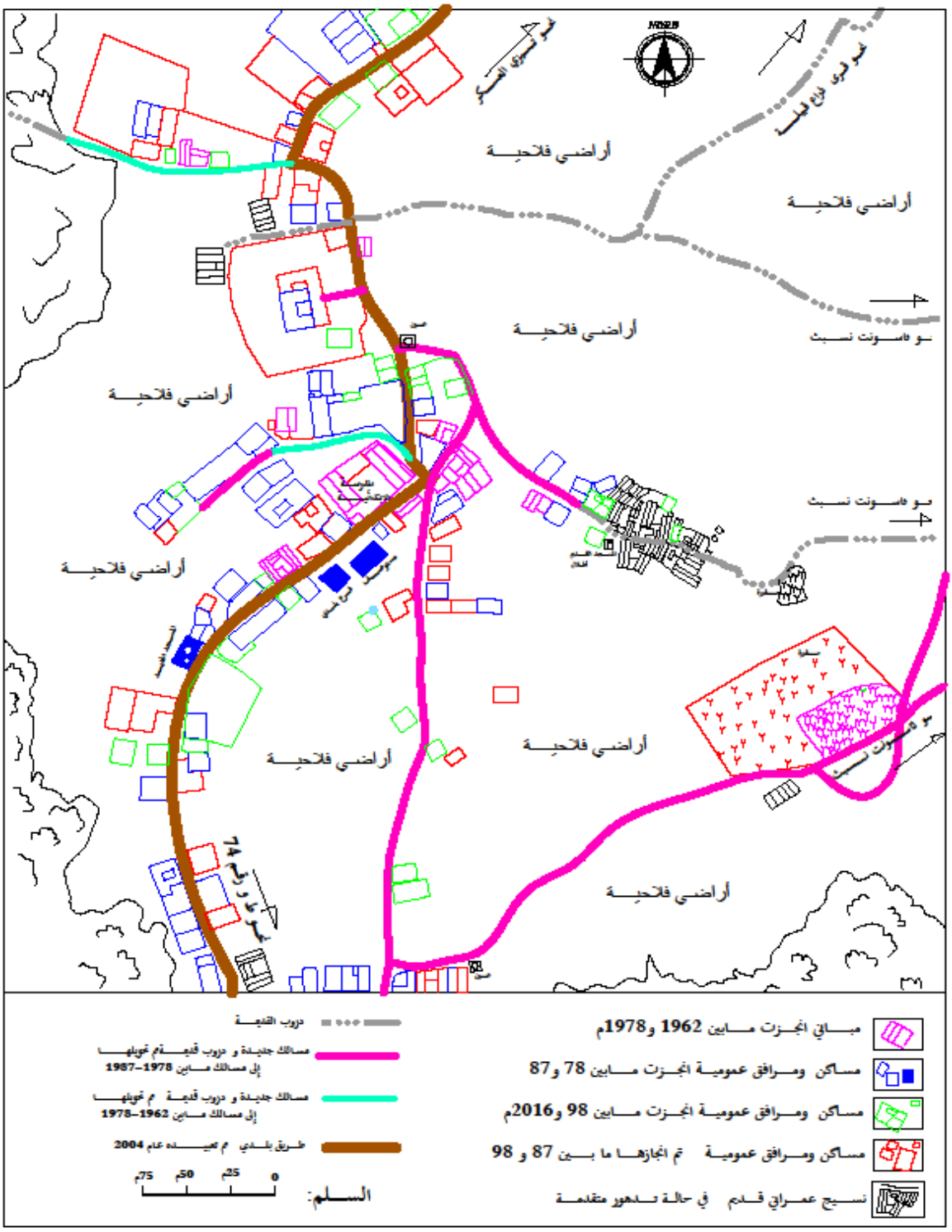

خلال السنوات القليلة الماضية عاشت القرية و المنطقة ككل على وقع برنامج التجديد الريفي الذي نتجت عنه مشاريع تنموية في شتى الميادين وفي المقابل على وقع موجة هجرة جديدة للقرويين إلى وجهات حضرية مختلفة لغرض الاستثمار، العمل والاستقرار. هذه المفارقة تسمح بطرح عدة إشكاليات أهمها:

- إشكالية التكامل في العلاقات بين مختلف أدوات التهيئة و المشاريع و الفاعلين في المجال القروي الجبلي.
- إشكالية نجاعة النهج التنموي الجديد الذي تجسد من خلال المشاريع الجوارية للتنمية الريفية المدمجة أحد أهم أدوات سياسة التجديد الريفي وأثره على المجال القروي الجبلي بشكل خاص والريفي بشكل عام فبعد ما يزيد عن عشرية (2006-2014) من التجربة و التطبيق يتحتم التساؤل عن الآثار المترتبة عن هذه المشاريع في المجال القروي الجبلي و محتواه الاجتماعي الاقتصادي والبيئي.

و من بين الإشكاليات القديمة و المتجددة نجد كذلك التوسع العمراني الخطي و الانشطاري الذي يشهده المجال القروي الجبلي و ما ينجر عنه من استهلال للأراضي الزراعية وأثر على البيئة. و كذا النسيج العمراني القروي التقليدي الذي يستدعي طرح إشكاليات متعددة تتعلق بالحفاظ عليه و الدور التنموي الذي يمكن أن يحض به في الحاضر و المستقبل.

المراجع :

[1] Côte M., **Pays, paysage, paysans d'Algérie**. Ed. C.N.R.S, Algérie, (1996), pp.68-77.

[2] Fontaine J., « L'urbanisation des montagnes kabyles », Politique urbaine du monde arabe, Vol. 17, (1986), pp. 757 -771.

[3] Charred S E., **Mutations de l'Algérie rurale, 1987-2010 : les évolutions dans le Constantinois**, Ed. Dar El Oudha. Ain M'Lila (Algérie), (2012), pp. 262-276.

[4] فكار ع.، **تطور السكن في الوسط الريفي : دراسة سوسيو مجالية للمجال السكني : منطقة بني ورثيلان شمال غرب سطيف القبائل الصغرى**. أطروحة دكتوراه في تخصص علم الاجتماع الحضري. كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية معهد علم الاجتماع ، جامعة الجزائر، (2006). 512ص.

[5] Sayad A,. « Les trois âges de l'émigration », Actes de la recherche en sciences sociales, Vol. 15, (1977), 59-79.

[6] Wouters B. Loeckx A. et al . CNERIB., « Le village : une autre ville, étude des transformations du logement et de l'habitat en Kabylie », A+ architecture urbanisme design, Vol. 87, (1985), pp.28-30.

[7] Messaci N,. « Une lecture architecturale de l'article de A. Sayad « les trois âges de l'émigration » », Insaniyat /إنسانيات, Vol . 53, (2011) ,pp. 59-78.

[8] مدور و.، "التحولات الحضرية في المنـــاطق الجبلية حالة منطقة واد عبدي – الأوراس "، علـوم و تكنـولـوجيـا D،عدد 41، (2015) ، ص-ص 93-50 .

[9] CENEAP., Wilaya de Sétif., **Synthèse des études sur le développement intégré des zones de montagne la partie nord de la wilaya de Sétif. Sétif**, Algérie, (2009),PP.1-12. [en ligne] http://www.ceneap.com.dz/Pdf/Setif-SchemDir.pdf, consulté le 29/03/2016.

[10] Côte M., **L'Algérie ou l'espace retourné**. Ed. Média plus. Algérie , (1993), P9.

[11] Guillot X., « Du projet spatial en milieu rural. Bilan d'étape d'une réflexion en cours », Acte de colloque Espace rural & projet architectural, Vers un nouveau pacte ville-campagne. Publications de l'Université de Saint-Etienne, Vol.2, (2011), pp. 18-29.

[12] كزار م أ.، **التحولات المجالية في القرى الجبلية القبائلية ، حالة قرى و مداشر منطقة بني ورثيلان بأقصى شمال غرب ولاية سطيف**. مذكرة ماجستير في العمران. جامعة قسنطينة. الجزائر. (2008)، ص ص. 96-98 . متوفرة على الرابط التالي: http://bu.umc.edu.dz/theses/architecture/AKER2374.pdf .16